ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٤٤) - اعرف امامك (ج٤٣)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(37)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق١٣)
الشأن (٢) - اركان عقيدة التوحيد (ج١٢)
الركن (٤): التوحيد في آفق التطبيق النظري والعملي لعقيدتنا على قلوبنا وعقولنا (ق١)
الاربعاء : ١٣/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٦/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

وصلنا في هذه الحلقة إلى الركن الرابع: **إنَّهُ التوحيدُ في أفق التطبيق النظري والعملي لما تقدَّم من كلامٍ في الأركانِ الثلاثة المتقدِّمة**، تطبيقُ ذلكَ على مُستوى عقولنا، على مُستوى قلوبنا، على مُستوى ضمائرنا ووجداننا و أقوالنا وأفعالنا، هذا هو الركنُ الرابعُ من أركانِ عقيدتنا التوحيدية.
قبل أن أدخل في التفاصيل، لابُدَّ أن أُذكِّركم من أنَّ هذا الاسم وهذه اللفظة المقدَّسة (**الله**)، حينَ تُطلَقُ على الذَّاتِ الأولى فإنَّنا نقصدُ الذَّاتَ الَّتي كانت ولم يكن معها شيء، لابُدَّ أن تلتفتوا من إنَّني لا أتحدَّثُ عن زمنٍ ماضٍ بلسان الحقيقة، ولا عن زمنٍ حاضرٍ، ولا عن زمنٍ سيأتي في ما نستقبلهُ من الزمان، فإنَّ الحديثَ عن الذَّات الأولى يكون بعيداً عن قُيود الزمانِ والمكانِ، بل عن كُلِّ قيدٍ من القُيودِ على أيِّ مُستوى من مستويات التفكيرِ والتصوُّرِ والتخيل.
فحينما نقول "كَانَ اللهُ وَلَم يَكُن مَعَهُ شَيء"؛ فإنَّنا لا نتحدَّثُ عن زمانٍ ماضٍ، ولا نتحدَّثُ عن زمانٍ حاضرٍ أو عن زمانٍ مُستقبلٍ، إنَّما نتحدَّثُ عن إثبات وُجوده.
وحينَ نقول " كَانَ اللهُ وَلم يَكُن مَعَه شَيء"؛ هذا لا يعني أنَّهُ قد صارَ معهُ شيء بعد أن خلق الحقيقةَ الـمُحَمَّديَّة، اللهُ ليسَ معهُ شيء قبل الحقيقة الـمُحَمَّديَّة - وحين أتحدَّثُ قبل الحقيقة الـمُحَمَّديَّة لا أتحدَّثُ عن زمانٍ وإنَّما أتحدَّثُ عن مراتبِ الوجود - فإنَّ اللهَ ليسَ معهُ شيء، قبلَ الحقيقةَ الـمُحَمَّديَّة، وبعدَ خَلقِ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، اللهُ ليسَ معهُ شيء، لأنَّنا إذا تصوَّرنا أنَّ شيئاً يكونُ معَ الله فقد جعلنا شبيهاً لهُ، جعلنا نظيراً لهُ، ليسَ لهُ شبيه، ليسَ لهُ نظير، هو ذاتٌ مُتفرِدة، الذَّاتُ المتفرِدة؛ ذاتٌ لا يمكن أن تُقاسَ بشيء.
- نحنُ لا نتوجَّهُ إلى الإمام المعصوم وينقطعُ توجُّهنا، حينئذٍ صارَ التوجّهُ إلى الاسمِ دُونَ المسمَّى.
- ولا نتوجّهُ إلى إمامنا وعبر إمامنا إلى الحقيقة الـمُحَمَّديَّةَ وينقطعُ توجُّهنا، فحينئذٍ صارت العبادةُ وصار التوجُّه إلى الاسمِ الأعظم الأعظم.
- المطلوب منَّا أن نتوجَّه إلى المسمَّى ولكن عبرَ إيقاعِ الاسم على المسمَّى.
الركنُ الرّابعُ: التوحيدُ في أفقِ مرحلة التطبيقِ النظري والعملي في مستوى عُقولنا، قُلوبنا، ضمائرنا، وجداننا، نوايانا، أقوالنا، أفعالنا.
بالتحديد بالتحديد حتَّى تكونَ الصورةُ واضحةً:
مُرادي من الركن الرابع من أركانِ عقيدتنا التوحيدية: **الأثرُ الَّذي يتركهُ اعتقادنا بالأركانِ الثلاثة المتقدِّمة على تكويننا الشخصي.**
فحينما تكونُ عُقولنا مُذعنةً مُصدِّقةً مُقتنعةً، قولوا ما شئتم بالمضامين الَّتي تقدَّم ذكرها فيما يرتبطُ بالركن الأوَّل والثاني والثالث، قطعاً هذا المعنى لا يتحقَّق إلَّا أن يكون الإنسانُ قد قرأ ذلك، تدبَّر فيه، استمعَ إلى حديثٍ كحديثي، تفكَّرَ فيه، تفهَّمهُ، رُبَّما ناقشهُ معَ نفسه، ناقشهُ مع الآخرين، قارنهُ معَ ما يقولهُ الآخرون عن التوحيد، هذا المسارُ الطبيعيّ لوصول العقيدةِ إلى العُقول.
ما هو الأثرُ الَّذي ستتركهُ هذه العقيدةُ على تكويننا الشخصي؟!
حينما تحدَّثتُ عن الركنِ الرَّابع وهو التوحيدُ في أفق التطبيقِ النظري والعملي في مستوى عقولنا وقلوبنا ونوايانا وأقوالنا وأفعالنا، لا أتحدَّثُ عن تفاصيل الأفعال، لا أتحدَّثُ مثلاً عن طُقوس العبادات، العبادةُ؛ هي العنوانُ الأبرزُ لتطبيقِ عقيدتنا في التوحيدِ على أرض الواقع، لكنَّ العبادة ليست رُكناً خامساً، العبادةُ تطبيقٌ عمليٌّ وسيأتي الحديثُ عن العبادة التوحيدية بعد أن أُكملَ كلامي في الأركانِ الأربعة.
فحينما أتحدَّثُ عن تطبيقٍ نظريٍ وعمليٍ لمضمونِ عقيدتنا بالأركان الثلاثة المتقدِّمةَ، إنَّني أتحدَّثُ عن بناء شخصيتنا، أتحدَّثُ عن تكوينِ عقولنا، فحينما أقرت العقولُ بالمضامينِ المتقدِّمة فلابُدَّ أن تتسرَّب هذه المضامينُ شيئاً فشيئاً إلى قُلوبنا، قطعاً بإرادتنا، فإذا ما اقتنعت عُقولنا بالَّذي تقدَّم من كلامٍ، وكان لنا اهتمامٌ أن نتدبَّر، وأن نتفكَّر، وأن نتفهَّم، وأن نُعيدَ القراءة، وأن نُعيدَ الاستماعَ، وأن نُعيدَ المناقشة، وأن نتدبَّر فيما ذُكر من آيات من آيات الكتاب الكريم، أن نتدبَّر فيما قُرئَ من أدعيةٍ ومن نصوص ومن روايات، ما ذُكرَ من معطيات، قطعاً شيئاً فشيئاً هذه المضامينُ ستصلُ إلى قُلوبنا، فحينما تكونُ هذه العقيدةُ قد ارتكزت ولو بدرجةٍ من الد رجات، لا أقولُ بدرجة اليقين، وإنَّما بدرجة الاطمئنان، أنَّ العقولَ قد اطمأنت لعقيدتها، وأنَّ القلوبَ قد لامست هذه المعاني وأخبتت لمضمونها بدرجةٍ من الدرجات، فحينما تتعانقُ العُقولُ والقُلوبُ معَ عقيدة التوحيد هذه فإنَّ ذلكَ سينعكس على شخصيتنا، سينعكسُ على نوايانا، على نيّتنا في التعامُلِ معَ الله، في التعامُل مع مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، في التعامل معَ أوليائهم، في التعامل معَ خلق الله من البشرِ وغيرِ البشر، حينما ننظرُ إلى الوجود بحسبِ النظرة التوحيدية الَّتي حدَّثتكم عنها، وتكونُ العقول قد تشرَّبت بمضمونها، والقلوبُ قد اعتنقتها ولامستها من قريبٍ أو من بعيد، فإنَّ ذلكَ سينعكسُ على طريقةِ حياتنا، وعلى طريقةِ تفكيرنا، وعلى طريقةِ تعاملنا، خصوصاً إذا ذهبنا في البحث عن سائرِ شؤونات التوحيد الأخرى.
وإذا ما ذهبنا في التعامُلِ معَ الطقوس والعبادات و الأوراد والأذكارِ بنحوٍ يكونُ فهمُنا لها مُنسجماً معَ عقيدة التوحيد الَّتي اقتنعنا وآمنَّا بها، كُلُّ ذلك سيغيِّر نظرتنا للحياة، وسيغيِّر نظرتنا للدينِ بكُلِّ تفاصيله، وسيغيِّر نظرتنا لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين، إنَّنا سنكونُ في تكوينٍ نفسيٍ جديد، هذا هو الَّذي قصدتهُ من الركنِ الرابع من أركانِ عقيدة التوحيدِ في مستوى التطبيق النظري والعملي.
- في مستوى التطبيق النظري فإنَّهُ بحدود عقولنا.
- أمَّا في مستوى التطبيق العملي فحينما تلامسُ القلوب ما استقرَّ في العقول فحينئذٍ قد دخلنا في مرحلة التطبيق العملي.

لأنَّ القلوبَ هي الَّتي تدفُعنا للعمل، العقولُ ضعيفةٌ في تحريكنا، القلوبُ هي القادرةُ على دفع الإنسان، من هنا تلاحظون أنَّ أئمَّتنا يُوجِّهوننا دائماً باتجاه الحُبِّ والبُغض، باتجاه الحُبِّ الإلهي، باتجاه أن نُحبَّ الله وأن نُحبَّ كُلَّ شيء يرتبطُ به، وأن نُبغض أعداءَ الله، وأن نُبغض كُلَّ شيءٍ يُبعدنا عن الله، فالحُبّ والبُغضُ، الولايةُ والبراءةُ؛ (**اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالَاه وَعَادِ مَن عَادَاه**)، وما الدِّينُ إلَّا الحُبّ والبُغض، وما الدِّينُ إلَّا الولايةُ والبراءة، هذه جملةٌ من قواعد التثقيف العَلويّ، من قواعد المنطقِ العلويّ، من قواعد الفهمِ والتفهيم العلويّ الَّذي بايعنا عليه في بيعة الغدير، لماذا؟ لأنَّ القلوب هي الَّتي تستطيعُ أن تُحرِّكنا، العقولُ يمكنَ أن تُحرِّكنا، لكنَّها لا تمتلكُ طاقةً عاليةً كطاقة القُلوبِ تبعثُ الحركةَ في الإنسان، فحينما تستقرّ العقيدةُ في القُلوبِ بعد أن استقرّت في العقول دخلنا في مرحلة التطبيق العملي، وهذا سيظهرُ في نوايانا، والنوايا نحنُ نعرفها، قد تُستكشفُ من الآخرين بسببِ آثارها، لكنَّها خفيّةٌ، نوايانا نحنُ نعرفها، فإذا استقرّت العقيدةُ في القلوبِ ظهرت آثارُها في النَّوايا، وظهرت آثارُها في طريقة التفكيرِ والتقييم، وفي ميزانِ الحُبِّ والبُغض، وسنبدأ نُرتِّبُ قائمة أولويّاتنا، بناؤنا الشخصي، تكويننا الفكريّ سيكونُ مصبوباً وفقاً للعقيدة الَّتي تشربتَ في العقل والقلب، هذا هو الَّذي قصدتهُ حينما حدَّثتكم عن الركنِ الرابع من أركانِ عقيدة التوحيد، إنَّهُ التوحيدُ في أُفقِ التطبيقِ النظري والعملي لِمَا تقدَّم ذكرهُ من عقيدةٍ في الأركانِ الثلاثة من أركانِ عقيدة التوحيد إنَّهُ الركنُ الأوَّلُ والثاني والثالث.

في حلقتنا الماضية قرأتُ عليكم الآية الأخيرة من سُورة القَصص، وهي الآيةُ الثامنةُ والثمانون بعدَ البسملة، وقلتُ لكم من أنَّني سأعودُ إليها كي أُشخِّص لكم الأركان الأربعة الَّتي مرَّ الكلام عنها، الركنُ الرابع حدَّثتكم عنهُ بشكلٍ إجماليٍّ، لابُدَّ أن أُفصِّلَ الكلام بخصوصه وسيأتينا، وهذا هو جزءٌ من تفصيل الكلامِ بخصوص الركنِ الرابع، ماذا قالت الآيةُ الثامنةُ والثمانون بعد البسملةِ من سورة القصص؟ ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.

الركنُ الأوَّل: التوحيدُ في أفقِ ما قبل الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، ما قبلها ليست زماناً، ما قبلها حقيقةً، ما قبلها رُتبةً..

إذاً التوحيدُ في الأفق الأول وهو الركنُ الأوّل من أركانِ عقيدتنا التوحيديّة: ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّه إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾.

التوحيدُ في أفق الحقيقة الـمُحَمَّديَّة: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ ، هذا الكلامُ بخصوص الحَقيقة الـمُحَمَّديَّة ينطبقُ عليها منذُ بداية نشأتها وإلى ما شاء الله، وسبحانهُ وتعالى خلقها للبقاء وما خَلقهاَ للفناء، إنَّها وجههُ الباقي ووجههُ الدائم، الحديثُ هنا ليسَ عن يوم القيامة، وإنَّما يومُ القيامة مصداقٌ من المصاديق، الأشياءُ في هذه اللحظة هالكةٌ فهي محكومةٌ بالهلاك، هي مُقيّدةٌ بالهلاك، المخلوق الَّذي ليس مُقيّداً بالهلاك وجههُ فقط، وَجههُ با قي، أمَّا أنا وغيري وهذه الأجرامُ العظيمةُ وهذه الملائكةُ الـمُقرَّبةُ الجميعُ مُقيّدون بالهلاك.

نحنُ محكومون بالهلاك، ونحملُ أسباب الهلاك في وجودنا، بقاؤنا بمبقٍ، هناك سببٌ لبقائنا، وهذا السببُ لبقائنا مُرتبطٌ بمشيئة الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، أمّا الحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ فهي باقيةٌ لأنَّها وجه الله، ولأنَّهُ سبحانهُ وتعالى خلقها بنفسها، فهي تحملُ سرّ بقائها في ذاتها، ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾ ، أمَّا نحنُ فسببُ بقائنا هو بفيضٍ بمبقٍ يصلُ إلينا من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، ولذا سنمرّ بمرحلة الفناء، والفناء ما هو العدم إنَّهُ الاندثار، حيثُ تتلاشى الفاعليّةُ والفعليّةُ إلى الصفر، وترتقي حالةُ الانفعاليّة إلى أعلى درجةٍ إلى مئةٍ بالمئة إنَّهُ الاندثار..

- الركنُ الأول: "**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**".

- "**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**"، الركنُ الثاني.

- "**لَهُ الْحُكْمُ**"؛ الركنُ الثالث.

الركنُ الثالثُ يمكننا أن نتلمَّس معناه في الاستئذان الَّذي يُقرأُ عند زيارة السرداب الشريف، أقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان)، ماذا نقرأُ في دُعاء الاستئذان الَّذي نستأذنُ به لزيارة السردابِ الشريف، وحتَّى لزيارة حضراتهم المقدَّسة، فماذا نقول؟: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِحُكَّامٍ يَقُومُونَ مَقَامَهُ لَو كَانَ حَاضِراً فِي الْمَكَان، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الَّذِي شَرَّفَنَا بِأَوْصِيَاءَ يَحْفَظُونَ الشَّرَائِعَ فِي كُلِّ الأَزْمَان**).

تُلاحظون أنَّ النصوص تتلاقى، تتعانقُ، تتطابقُ، ألا لعنةٌ على منهج حوزة النَّجف، ألا لعنةٌ على علم كلامهم، حيثُ شتَّتوْا لنا ديننا ودمّروْا لنا عقيدتنا.

- "**لَهُ الْحُكْمُ** "؛ هذا هو الركنُ الثالثُ من أركانِ عقيدتنا التوحيدية.

- "**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**"؛ هذا هو الركنُ الرابعُ حينما تُبنى عقولنا وقلوبنا وشخصيّاتنا، وحينما تتكوّنُ شخصيّتنا التوحيديّةُ وفقاً للعقيدة السليمة الَّتي تستقرّ في العُقول والقُلوب فإنَّنا إليه راجعون.

حينئذٍ حينما نقولُ في كُلِّ حالٍ لا في حال المصيبة حتَّى في حال الفرح والسرور، إنَّما وُجِّهت الأنظارُ إلى هذا الذكرِ في حال المصيبة لأنَّ الإنسانَ في حال المصيبة قد يخسر توجُّههُ الصحيح، وقد يخسر نيّتهُ الصحيحة وعقيدتهُ الصحيحة، فلذا لابُدَّ أن يُعلَّم، لابُدَّ أن يُوجه، أن يكونَ عقلك وقلبك ولسانك قائلاً: (إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيه رَاجِعُون)، وإلَّا في الفرح أيضاً (إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيه رَاجِعُون)، في كُلِّ حالٍ من الأحوال، مع كُلِّ نَفَسٍ من أنفاسنا، (إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيه رَاجِعُون)، نَحنُ رَاجِعون إليهم، (إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُم وَحِسَابُهُم عَلَيْكُم) ، نحنُ راجعون إليهم، راجعون إلى الله، راجعون إلى وجه الله، (أَيْنَ وَجْهُ اللهِ الَّذي إِلَيه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء) ، فهذا الوَجهُ نتوجَّهُ إليه في الحَياةِ وعندَ الاحتضار ، وعندَ الموت وبعدَ الموت وبعدَ البعد وعندَ الصِّراط وفي الجِنانِ في كُلِّ آنٍ منَ الآنَاتَ، وفي كُلِّ تجلٍّ من التجليات.

في كتاب (التوحيد) للشيخ الصدوق هذه الروايةُ قرأتها عليكم في آخرِ الحلقة الماضية، أُعيد قراءتها كي يترابط كلامي مع الآية الثامنة والثمانين بعد البسملة من سورة القصص الَّتي كُنت أُحدِّثكم بشأنها قبل قليل، صفحة (١٤٧)، الحديثُ التاسع: **بسنده، عن ابنِ أبي يَعفُور** - وهو شَخصيّةٌ شيعيّةٌ معروفةٌ، ابنُ أبي يعفور يقول: **قَالَ أَبُو عَبد الله** - إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله عليه - **إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْوحدَانِيَّة مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِه** - ذاتٌ متفردة، مرَّ الحديثُ قبلَ قليل هذا هو الركنُ الأوَل من أركانِ عقيدةِ التوحيد - **إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْوحدَانِيَّة مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِه** - الإمامُ الصَّادقُ مُستمرّ ذكرِ لنا هنا الركن الأول من أركانِ عقيدة التوحيد.

يُحدِّثنا الآن عن الركن الثاني: **خَلَقَ خَلْقاً فَفَوَّضَ إِلَيْهِم أَمْرَ دِيْنِه فَنَحْنُ هُم** - الحديثُ عن تفويضِ أمر الدينِ إليهم مصداقٌ، فإنَّ الله فَوَّض أمر التكوينِ إليهم قبل أمر التشريع، إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ العُظمى، لَكنَّ الأئمَّة يتحدَّثونَ بلسانٍ يكون مُناسباً للمتلقي.

إِنَّ الله وَاحِدٌ أَحَدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْوحدَانِيَّة مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِه؛ هذا الركنُ الأول.

خَلَقَ خَلْقاً فَفَوَّضَ إِلَيهِم أَمْرَ دِينِه فَنَحنُ هُم؛ هذا الركنُ الثاني، في أفقِ الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة.

ثُمّ يقطع الإمام كلامهُ قائلاً: **يَا ابْنَ أَبِي يَعفُور** - جعلَ فاصلاً يريد أن يجعل الحديث عن الركنِ الثالث مفصولاً عن الركن الثاني، كي لا يلتبس الأمر - **يَا ابْنَ أَبِي يَعفُور، نَحْنُ حُجَّةُ الله فِي عِبَادِه وَشُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقه وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى وَحْيِه وَخُزَّانُهُ عَلَى علْمه وَوَجْهُهُ الَّذي يُؤْتَى مِنْه** - (أينَ وَجه الله الَّذي إلَيه يَتوجَّهُ الأوْلياء) - **وَعَيْنُهُ فِي بَرِيَّته وَلِسَانُهُ النَّاطق وَقَلْبُهُ الوَاعي وَبَابُه الَّذي يدلُّ عَلَيه وَنَحنُ العَاملُونَ بِأَمْرِه وَالدَّاعُونَ إِلَى سَبِيله** - لماذا كُلُّ هذا التفصيل في الركن الثالث؟ لأنَّنا مُكلَّفون بالركنَ الثالث، نحنُ لا ندركُ شيئاً من حقيقة التوحيدِ في الركن الأول، ولا نُدركُ شيئاً من حقيقة التوحيدِ في الركن الثاني، نحنُ نتعاملُ بشكلٍ مباشرٍ مع الركن الثالث من أركانِ عقيدة التوحيد؛

- نعتقدُ بمضمون الركن الأوّل.
- نعتقدُ بمضمون الركن الثاني.
- نعبدُ الله على أساس اعتقادنا بكُلِّ هذه الأركان.

لكنَّنا عملياً نتعاملُ مع من؟ هل نتعاملُ مع الله؟ الَّذي يُريدُ أن يتعامل مع الله إنَّهُ يتعاملُ مع المطلق، سيتعاملُ مع الأوهام، سيتعامل مع توهُّمه، وما توهّمتم شيئاً إلَّا كان من خلقكم، هذه قاعدةٌ أساسيّةٌ في التوحيد، ما توهّمتم شيئاً إلَّا كانَ من خلقكم.

- فنحنُ لا نستطيعُ أن نتعامل بشكلٍ مُباشرٍ مع الذَّات الأولى.
- ولا نستطيعُ أن نتعامل بشكلٍ مُباشرٍ مع الحقيقة الـمُحَمَّديَّة.
- نحنُ نتعاملُ بشكلٍ مُباشرٍ معَ هذا الظاهرِ لنا منَ وجه الحقيقة الـمُحَمَّديَّة.

وإلَّا فالوجهُ الخفيّ والباطنُ نحنُ لا نعرفُ منهُ شيئاً، إنَّما نُعلنُ إيمانَنا به تسليماً حين نقول: (نُؤْمن بِظَاهِرِكُم وَبَاطِنِكُم)، نحنُ نتعاملُ مع ظاهرهم وليسَ لنا من قدرة على أن نُحيطَ بحقيقة ظاهرهم، هذا هو الَّذي يجري على أرض الواقع.

ثُمّ انتقل إلى الركنَ الرابع الَّذي يتعلَّقُ بنا: **بِنَا عُرِفَ الله** - هذا مرتبطٌ بنا - **بِنَا عُرِفَ الله** - مَن هُم الَّذيْنَ عَرفوا الله؟ نحنُ، هذا هوَ الركنُ الرابع، الآثار الَّتي تظهرُ في تكويننا العقلي وفي بناء شخصيّتنا من خلال ما ينطبعُ في عقولنا وفي قلوبنا من العقيدة السليمة، بحسبِ مضامينِ الأركان الثلاثة المتقدِّمة - **بِنَا عُرِفَ الله، وَبِنَا عُبِدَ الله** - هذه هي الآثارُ الَّتي تظهرُ في تكويننا العقلي والقلبي والشخصي - **بِنَا عُرِفَ الله، وَبِنَا عُبِدَ الله، نَحْنُ الأَدِلَّاءُ عَلَى الله، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ الله** - الروايةُ واضحةٌ وكُلُّ الروايات هكذا، كُلُّ الأحاديث هكذا.

الآيةُ الثلاثون بعد البسملة من سورة الروم، الآيةُ مُهمَّةٌ جِدَّاً، لكنّني أذهبُ إلى جهة واحدة مُباشرة ترتبطُ بحديثي.

الآيةُ كُلُّها: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ**﴾، ومرَ علينا الدِّينُ القَيِّمُ حدَّثنا عنهُ أميرُ المؤمنين في حديث المَعرفة بالنَّورانيةَ من أنَّهُ هوَ نفسهُ دينُ القَيمة، الحقائقُ تتعانقُ تعانُقاً عجيباً.

أعودُ إلى الآية: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، خصوصاً إذا ما ابتلوا بمراجع كمراجع النَّجف، لأنَّهم هؤلاء هم أنفسهم جُهَّال لا يفقهونَ شيئاً منَ دينِ مُحمَّد وآلِ محمَّد، ما يفقهونهُ يفقهون دينَ النَّواصب، يفقهونَ ديناً أسّسهُ الطوسي ومن جاء من بعد الطوسي، أسّسوا لهم ديناً وساروا عليه، هذا هو الَّذي يفقهونهُ، أمّا أنَّهم هل يفقهون شيئاً من دينِ مُحمَّد وآلِ مُحمَّد؟ وحقِّ الحُسينِ لا يفقهونَ شيئاً، هذا على الأقلِ من وجهة نظري، لكنَّني لا أقولُ هذا الكلام جزافاً من خلالِ معرفتي بمنهجهم، من خلالِ تحقيقي في كُلِّ كتبهم، من خلالِ معرفتي بكُلِّ عقائدهم، من خلالِ معرفتي بواقعِ دينهم.

الآيةُ جعلت جوهرَ حديثها عن الفطرة، ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً**﴾ - الَّذي جذرهُ وأساسهُ - **فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾، هذا هو جذرُ الدين، وحينئذ فهذا هو جذرُ شخصيّتنا الدينيّة، جذرُ تكويننا الديني، إذا أردنا أن يكون تكويننا الدينيّ مُنسجماً مع عقيدةِ التوحيد الصحيحة، بأركانها المتقدِّمة.

هذه الفطرةُ ماذا يقولُ عنها آلُ مُحَمَّد صلواتُ الله عليهم؟

في كتاب (التوحيد) للشيخ الصدوق، الطبعةُ نفسها، صفحة (٣٢١)، الحديثُ السابع، إنَّهُ الباب الثالثُ والخمسون: (بابُ فطرة الله عزَّ وجلَّ الخلق على التوحيد)، الحديثُ السابع: **بِسنده، عَنْ عَبْد الرَّحْمَنِ بن كَثِيْر، مَوْلَى أَبِي جَعْفَر** - مولى الباقر، مولى أبي جعفر؛ كانَ خادماً عندَ إمامنا الباقر - **عَنْ إِمَامَنَا الصَّادق، فِي قَوْل الله عَزَّ وَجَلَّ: "فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"** - هذه الآيةُ نفسها الَّتي قرأتها عليكم، الآيةُ الثلاثون بعد البسملة من سورة الروم ، عبدُ الرّحمن بنُ كثير ينقلُ لنا تأويل هذهَ الآية، تفسير هذه الآية، بيانَ حقيقة هذه الآية من شفاه إمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه.

إمامنا الصادقُ هكذا يقول: **فِي قَوْل الله عَزَّ وَجَلَّ: "فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"، قَالَ: التَّوْحِيدُ** - يُشيرُ إلى "لَا إله إلَّا الله" يعني كلمة التوحيد - **التَّوْحِيدُ وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَعَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمنِين** - وَهذا هوَ التوحيد، وإنَّما الإمامُ استعمل عنوانَ (التوحيد) لأنَّ المتلقي هكذا يفهمُ من أنَّ التوحيد هو "لَا إله إلَّا الله"، فاستعمل الصيغة الشائعة لدلالة هذا العنوان، فما هي الفطرةُ؟

الإمامُ يقول الفطرةُ هي: (**التَّوْحِيدُ وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَعَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمنِين**) ، هذا هو تأويلهم لقُرآنهم، وهذا هو شرحُهم للفطرة الَّتي نحملها نحنُ، هذه الفطرةُ في أصلها، فإذا أردنا أن نُمازج بينَ عقيدة التوحيد وبينَ نفوسَنا لابُدَّ أن تأتي عقيدةُ التوحيد مُنسجمةً مع فطرتنا.

﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ**﴾، الدِّينُ القَيِّم الَّذي يبتني على الفطرة الصحيحة: "لا إلَه إلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُول الله عَليٌّ وَلِيُّ الله، ذَلكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ".

رسولُ الله يقول: (**مِنْ أَنَّ صَلاتَكُم هي وَجه دينَكُم**) ، فهذا يعني أنَّ دينكم ليسَ قَيماً لأنَّ صلاتكم ما فيها ذكرَ واجبٌ لعليَ بن أبي طالب، ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ ، الدينُ القَيِّمُ هوَ الَّذي يبتني على الفطرة السليمة، والفطرةُ السليمة شرحها لنا إمامنا الصَّادقُ: **"لَا إِلَه إِلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله عَلِيٌّ وَلِيُّ الله"** ، طَهِّروا، طَهِّروا، طَهِّروا أنفسكم بذكرِ عليَ، طَهِّروا دينكم، دينكم نجسٌ من دونِ ذكرِ عليَ، صلاتُكم نجاسة من دونِ ذكرِ عليَ، طَهِّروا، طَهِّروا، طَهِّروا صلاتكم بذكرِ عليَ، بهذه النيّة، بنيّة الوجوب القطعي، بنيّة أنَّ ذكر عليَ يُطهِّرُ صلاتكم النَّجسة الَّتي علَّمكم إيَّاها مراجعُ النَّجف، هذه صلاةٌ نجسة طَهِّروها، طَهِّروها، طَهِّروها بذكرِ عليَ، كي تنسجم صلاتكم مع الدِّين القَيم، لأنَّ الدِّينَ القَيمَ ينطلقُ من الفطرة الصحيحة، هذا هو قُرآن مُحَمَّدٌ وآلِ مُحَمَّد، وهذا هو تفسيرهم، ما أنا قرأتُ عليكم من قُرآنهم، وقرأتُ عليكم تفسيرهم، ما جئتُ بشيء من عندي، هذه هي بيعةُ الغدير، وهذا هو مضمونها، أفلا تريدون أن تكونوا أوفياء لعليٍ في بيعته الغديرية؟ القرارُ إليكم..